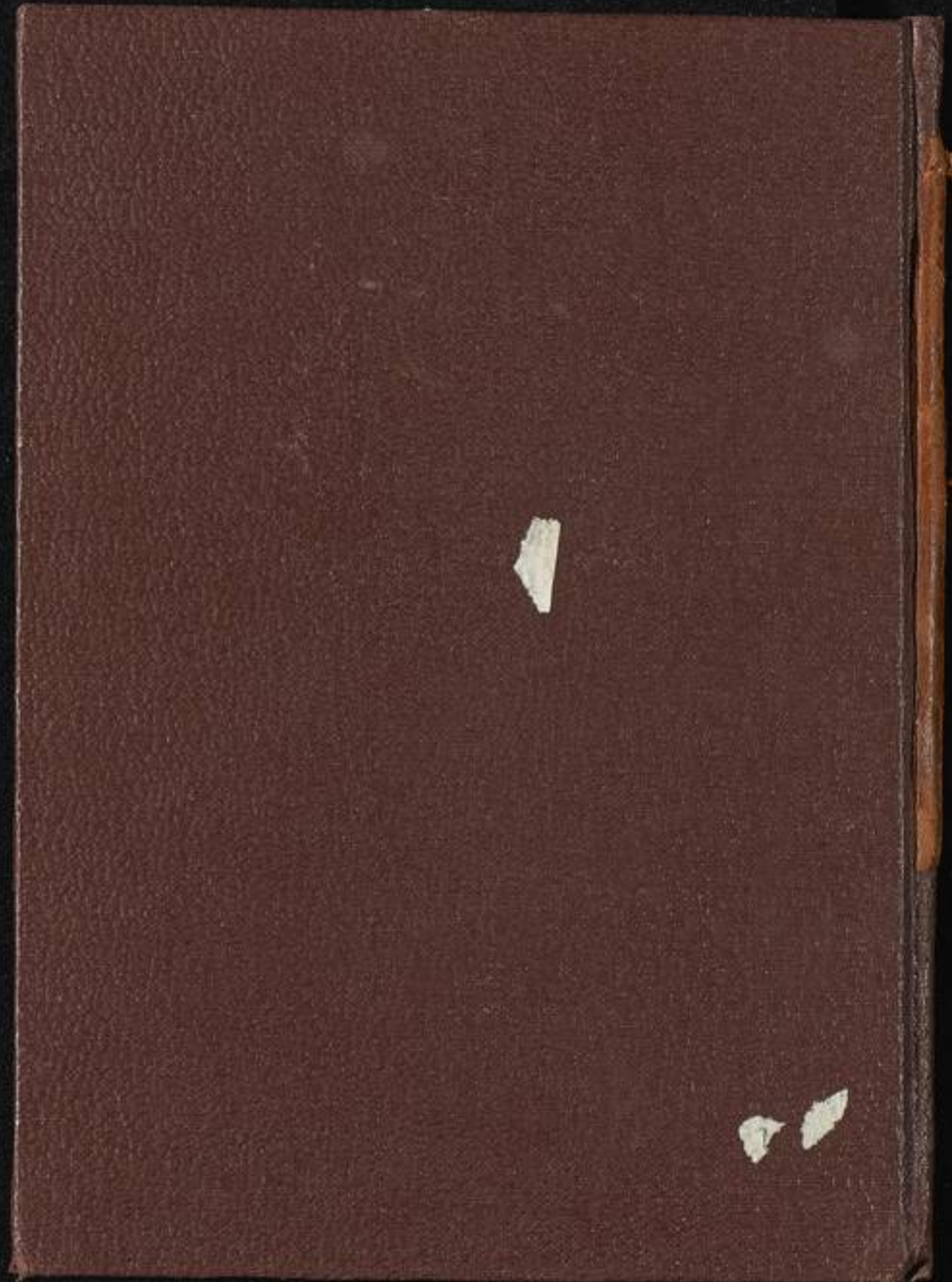
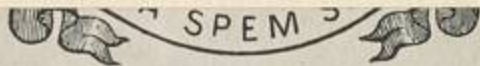




THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY



W. Arthur Jeffery



W. Arthur Jeffery

Arthur Jeffery

تَطَاهِيرُ الْأَعْيُنِ

عَنْ أَدْرَازِ الْأَحْمَدِ
تَأليف

الإمام المحدث السلفي المجتهد الشهير : محمد بن إسماعيل

الأمير ، اليمنى الصنعاني

١٠٩٩ - ١١٨٢ هـ بحريه رحمه الله

صححه وعلق عليه الفقير إلى عفو الله ورحمته

محمد حميد الفقي

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية

الطبعة الرابعة

١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م

ترجمة

العلامة المحدث الفقيه محمد بن إسماعيل الأمير الحسنى الصنعانى
هو الإمام المتقن ، والعلامة المتقن ، البارع فى غالب العلوم
المحدث ، الحافظ الضابط ، أبو إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح
ابن محمد بن على ، المعروف - كسلفه - بالأمير ، الحسنى اليمنى
الكحلانى الصنعانى .

ولد رحمه الله بمدينة كحلان ، وهى على مسافة ثلاثة أيام من
مدينة صنعاء شمالاً إلى الغرب - فى ليلة الجمعة منتصف جمادى
الآخرة من عام تسع وتسعين وألف من الهجرة .

ولما كانت سنة إحدى عشرة سنة انتقل والده وأهله إلى
صنعاء ، فنشأ بها ، وتعهده أبوه بالتربية والتعليم ، وأسلمه إلى
النحارير من أهل العلم ، حتى تخرج عليهم عالماً فاضلاً ، يشار
إليه بالبنان .

أخذ عن والده النحو والبيان والحديث وأصول الدين ،

وأخذ عدة علوم عن السيد الحافظ زيد بن محمد بن الحسن بن
القاسم الحسنى الصنعاني ، ومن شيوخه السيد صلاح بن الحسين
الأخفش السكحلاني ، والسيد عبد الله بن علي الوزير الصنعاني
والقاضي علي بن محمد العنسي .

ولما استكمل أدوات التصدر عكف على تدريس العلم وإفادة
الراغبين ، واشتهر بنشر علم السنة النبوية ، فقصده الطلاب
وانتفعوا به .

ومن أجل تلاميذه : أولاده : إبراهيم ، وعبد الله ، والقاسم
ومنههم السيد الحسن بن إسحاق بن المهدي ، والسيد إسماعيل بن
محمد بن إسحاق ، وغيرهم .

وله مصنفات كثيرة ، ورسائل عديدة مفيدة في فنون العلوم
نذكر منها :

(١) العدة ، وهي حاشية على شرح عمدة الأحكام - لابن
دقيق العيد .

(٢) سبيل السلام ، وهو شرح على بلوغ المرام من أدلة
الأحكام - لابن حجر .

(٣) التنوير ، وهو شرح على الجامع الصغير في حديث
البشير النذير - للسيوطي .

(٤) التعبير ، وهو شرح على كتاب « تيسير الوصول إلى
جامع الأصول » .

(٥) منحة الغفار ، وهو شرح على كتاب « ضوء النهار ،
بشرح الأزهار » .

(٦) جمع الشتيت ، في شرح وذيل أبيات التثنية .

(٧) ثمرات النظر ، في علم الأثر .

(٨) قصب السكر ، نظم نخبة الفسك ، في علم الأثر -
للمحافظ ابن حجر .

(٩) إسبال للطر - بشرح نظم نخبة الفسك .

(١٠) توضيح الأفسكار ، شرح تنقيح الأنظار في علوم
الآثار .

(١١) الإحراز ، لما في أساس البلاغة من كفاية ومجاز .

(١٢) إجابة السائل ، شرح بغية الآمل ، منظومة السكافل
في أصول الفقه .

(١٣) فتح الخالق ، شرح مجمع الحقائق والرقائق ، في محامد رب الخلائق .

(١٤) المسائل المرضية ، في بيان اتفاق أهل السنة والزيدية .

(١٥) اليواقيت في المواقيت .

(١٦) الروض النضير في الخطب .

(١٧) إرشاد النقاد ، إلى تيسير الاجتهاد .

(١٨) تطهير الاعتقاد ، عن أدران الإلحاد .

(١٩) الروضة الندية ، شرح التحفة العلوية .

(٢٠) الانوار ، على كتاب الإيثار .

(٢١) إيقاظ الفكرة ، لمراجعة الفطرة .

(٢٢) نصره المعبود ، في الردّ على أهل وحدة الوجود .

(٢٣) السهم الصائب ، في نحر القول السكاذب .

وكان شاعراً مجوداً ، أنشد قصيدة رائعة في الإشادة بشيخ

الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وبدعوته إلى التوحيد مطالعها :

سلامي على نجد ومن حل في نجد

وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

ومنها :

قفي واسألني عن عالم حلّ سوحها

به يهتدى من ضل عن منهج الرشد

محمد الهادي لسنة أحمد

فيا جندا الهادي ، وياحبذا المهدي

لقد أنكرت كل الطوائف قوله

بلا صدّر في الحق منهم ولا الورّد

وسيدكر في صفحة ٣١ أبياتاً منها

ومات - رحمه الله - بصنعاء ، في يوم الثلاثاء ثالث شعبان ،

سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ، عن ثلاث وثمانين سنة ، ودفن

غربي منارة جامع المدرسة بأعلى صنعاء ، وقد رثاه جماعة من

أكابر العلماء في عصره ، منهم : السيد محمد بن هاشم الشامي

الحسني الصنعاني ، وضمن قصيدته تاريخ وفاته بقوله :

وَلَيْسَ مِنْ بَعْدِكَ الْبَشَرُ مَوْرُخَةٌ

محمد في جنان الخلد قد وصلا

بسم الله الرحمن الرحيم

(وهو المستعان)

الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يفردوه
بتوحيد العبادة كل الأفراد من اتخاذ الأنداد . فلا يتخذون له
نداً . ولا يدعون معه أحداً ، ولا يتكلمون إلا عليه . ولا يفزعون
في كل حال إلا إليه . ولا يدعونه بغير أسمائه الحسنى .
ولا يتوصلون إليه بالشفعاء (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ؟)
وأشهد أن لا إله إلا الله رباً معبوداً . وأن محمداً عبده ورسوله
الذي أمره أن يقول (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا
ما شاء الله) وكفى بالله شهيداً . صلى الله عليه وعلى آله والتابعين
له في السلامة من العيوب ، وتطهير القلوب عن اعتقاد كل شيء يشوب
(وبعد) فهذا (تطهير الاعتقاد . عن أدران الاحاد) وجب
على تأليفه . وتعين على ترصيفه . لما رأيت وعلمته من اتخاذ العباد
الأنداد . في الأمصار والقرى وجميع البلاد . من اليمن والشام ومصر

ونجد وتهامة ، وجميع ديار الإسلام . وهو الاعتقاد في القبور . وفي
الأحياء ممن يدعي العلم بالمغيبات والمكاشفات ، وهو من أهل
الفجور^(١) لا يحضر للمسلمين مسجداً . ولا يرى لله راجعاً

(١) هذه صفة كاشفة . فإن هؤلاء الأدعياء كلهم جفرة متمردون
على الله وكتابه ورسوله . لأن التقى الصالح لا يدعى علم الغيب ، ولا
ينازع الله في ربوبيته . ولو ادعى هذا لخرج عن الإسلام ، لأن
مدعى ذلك مكذب لله ولرسوله . فإن الله سبحانه يقول : (وعنده
مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو) ويقول (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه
أحدًا إلا من ارتضى من رسول) وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم
أن يقول : (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى
السوء) وأن يقول (لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب
ولا أقول لكم إني ملك . إن أتبع إلا ما يوحى إلي) وأن يقول :
(ما كنت بدعا من الرسل ، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع
إلا ما يوحى إلي) ، والقرآن كله يجرّد هذا العلم لله وحده وينفيه
عن غيره من الأنبياء والرسل فضلًا عن غيرهم . والقبوريون
يعتقدون في أوليائهم علم الغيب وغيره من خصائص الرب . بناء
على اعتقادهم : أنهم النور الفاضل من ربهم ، وأن فيهم من =

ولا ساجداً . ولا يعرف السنة ولا الكتاب . ولا يهاب البعث
ولا الحساب .

فوجب على أن أنكر ما أوجب الله إنكاره ، ولا أكون
من الذين يكتُمون ما أوجب الله إظهاره
فاعلم أن ههنا أصولاً هي قواعد الدين . ومن أهم ما تجب
معرفة على الموحدين :

(الأصل الأول)

أنه قد علم من ضرورة الدين : أن كل ما في القرآن فهو حق
لا باطل ، وصدق لا كذب ، وهدى لا ضلالة ، وعلم لا جهالة ،
ويقين لا شك فيه .

فهذا الأصل أصل لا يتم إسلام أحد ولا إيمانه إلا بالاقرار
به . وهذا مجمع عليه لا خلاف فيه .

== صفات الربوبية : العلم والقدرة والكرم والسمع والبصر والرحمة
والحياة الدائمة . وعلى هذا الاعتقاد فزعوا إليهم في عسرهم ويسرهم
وأحبوهم كحب المؤمن لله ، ودعوهم كدعاء المؤمن ربه .

(الأصل الثاني)

أن رسل الله وأنبياءه - من أولهم إلى آخرهم - بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة ، وكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه قوله (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) (أن لا تعبدوا إلا الله) (أن عبدوا الله واتقوه وأطيعون) وهذا الذي تضمنه قول « لا إله إلا الله » فإنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها . لا بمجرد قولها باللسان .

ومعناها : هو أفراد الله بالإلهية والعبادة . والنفي لما يعبد من دونه والبراءة منه . وهذا الأصل لامرية فيما تضمنه . ولا شك فيه وفي أنه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه ويحققه .

(الأصل الثالث)

أن التوحيد قسمان

القسم الأول : توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها . ومعناه : أن الله وحده هو الخالق للعالم . وهو الرب لهم والرازق لهم وهذا لا ينكره المشركون ، ولا يجعلون لله فيه شريكا . بل

هم مقرون به . كما سيأتى فى الأصل الرابع

والقسم الثانى : توحيد العبادة . ومعناه : إفراد الله وحده
بجميع أنواع العبادات الآتى ببيانها . فهذا هو الذى جعلوا الله
فيه شركاء . ولفظ « الشريك » يشعر بالإقرار بالله تعالى

فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الأول ودعاء المشركين إلى
الثانى . مثل قولهم فى خطاب المشركين (١٤ : ١٠ أفى الله شك
فاطر السموات والأرض ؟ يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم)
(٣٥ : ٣ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ؟
لا إله إلا هو) ونهيبهم عن شرك العبادة . ولذا قال تعالى
(١٦ : ٣٦) ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا : أن اعبدوا الله
واجتنبوا الطاغوت) أى قائلين لأمتهم : أن اعبدوا الله . فأفاد
بقوله « فى كل أمة » أن جميع الأمم لم ترسل إليهم الرسل
إلا لطلب توحيد العبادة ، لا للتعريف بأن الله هو الخالق للعالم
وأنه رب السموات والأرض . فأنهم مقرون بهذا ، ولهذا لم ترد
الآيات فيه فى الغالب إلا بصيغة استفهام التقرير . نحو (٣٥ : ٣

هل من خالق غير الله ؟ (١٦ : ١٧ أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟)
 (١٤ : ١٠ أفي الله شك فاطر السموات والأرض ؟) (٦ : ١٤)
 أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض ؟ (٣١ : ١١ هذا
 خلق الله ، فأروني : ماذا خلق الذين من دونه ؟) (٤٦ : ٤ أروني ،
 ماذا خلقوا من الأرض ؟ أم لهم شرك في السموات ؟) استفهام
 تقرير لهم ، لأنهم به مقرون .

وبهذا تعرف أن المشركين لم يتخذوا الأصنام والأوثان ولم
 يعبدوها ؛ ولم يتخذوا المسيح وأمه ، ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله
 تعالى ، لأنهم أشركوهم في خلق السموات والأرض ، بل اتخذوهم
 لأنهم يقرّبونهم إلى الله زلفى - كما قالوه - فهم مقرون بالله في
 نفس كلمات كفرهم وأنهم شفعاء عند الله قال الله تعالى (١٠ : ١٨)
 ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون : هؤلاء
 شفعاؤنا عند الله . قل أننبئوك الله بما لا يعلم في السموات ولا في
 الأرض ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون (فاجعل الله تعالى اتخذهم
 للشفعاء شركاء ونزه نفسه عنه ، لأنه لا يشفع عنده أحد إلا بأذنه ،

فكيف يشبّون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة ، ولا هم
أهل لها ؛ ولا يغفون عنهم من الله شيئاً ؟

(الأصل الرابع)

أن المشركين الذين بعث الله الرسل إليهم مقرون أن الله
خالقهم (٨٧ : ٤٣) ولئن سألتهم : من خلقهم ؟ ليقولن : الله) وأنه
الذى خلق السموات والأرض (٩ : ٤٣) ولئن سألتهم : من خلق
السموات والأرض ؟ ليقولن : خلقهن العزيز العليم) وأنه الرزاق
الذى يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ؛ وأنه
الذى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، وأنه الذى يملك السمع
والأبصار والأفئدة (٣١ : ١٠) قل من يرزقكم من السماء والأرض ؟
أم من يملك السمع والأبصار ؟ ومن يخرج الحى من الميت ؟ ويخرج
الميت من الحى ؟ ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولن : الله ، فقل :
أفلا تتقون) (٢٣ : ٨٤ - ٨٩) قل لمن الأرض ومن فيها - إن
كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله - قل : أفلا تذكرون ، قل : من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله - قل أفلا تتقون

قل من بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون : الله . قل : فأنى تسحرون ؟ وهذا فرعون مع غلوه في كفره ، ودعواه أقبح دعوى ، ونطقه بالكلمة الشنعاء ، يقول الله في حقه ، حاكياً عن موسى عليه السلام (١٧ : ١٠٢) لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر) وقال إبليس (٥٩ : ١٦) إني أخاف الله رب العالمين) وقال (١٧ : ٣٩) رب بما أغويتني) وقال (١٥ : ٣٦) رب فأنظرنى) وكل مشرك مقر بأن الله خالقه وخالق السموات والأرض وربهن ورب ما فيهما ورازقهم ، ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم (١٦ : ١٧) أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟) وبقولهم (٢٢ : ٧٣) إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له) والمشركون مقرون بذلك لا ينكرونه ^(١)

« ٧ » ولما قال إبراهيم عليه السلام لقومه (٢٦ : ٧٢ ، ٧٣) هل يسمعونكم إذ تدعون ؟ أو ينفعونكم أو يضرون ؟) لم يقولوا : نعم يسمعوننا وينفعوننا ، بل قالوا : حائدين عن الجواب فارين =

الأصل الخامس

أن العبادة : أقصى باب الخضوع والتذلل^(١) ولم تستعمل إلا في

== منه ، لأنهم لا يستطيعون أن يقرروا الحقيقة (٣٦ : ٧٤ بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) فقال لهم (٢١ : ٥٤ لقد كنتم أتم وأباؤكم في ضلال مبين) والله تعالى قال للمشركين (٧ : ١٩٤ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم . فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ١٩٥ ألهم أرجل يمشون بها ؟ أم لهم أيدي يبطشون بها ؟ أم لهم أعين يبصرون بها ؟ أم لهم آذان يسمعون بها ؟) يعني بعد أن تعطلت كل هذه الجوارح بالموت وأفناها البلى وأكلها الدود وأنتم تعرفون ذلك بالفطرة . لأنهم بشر ، والبشر هذه آلات سمعهم وبصرهم وتحركهم إذا كانوا أحياء ، فإذا ماتوا تعطل كل ذلك بلا شك ولا ريب . ولذلك تحذاهم فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ، إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)

« ١ » العبادة : غاية الدل مع غاية المحبة ، وهي عمل القلب أولاً ثم القلب يحرك الجوارح بمقتضاها ، والعبادة ثمرة الاعتقاد في العبود صفات القهر والقرة والغنى والرحمة . فمن ثم كانت حقاً خالصاً لله =

الخضوع لله . لأنه مولى أعظم النعم . وكان لذلك حقيقاً بأقصى غاية الخضوع كما الكشف .

ثم إن رأس العبادة وأساسها : التوحيد لله ، الذي تفيده كلمته التي إليها دعت جميع الرسل ، وهى قول « لا إله إلا الله » والمراد اعتقاد معناها ، والعمل بمقتضاها ، لا مجرد قولها باللسان .

ومعناها : إفراد الله بالعبادة والالهية ، والنفي والبراءة من كل معبود دونه ، وقد علم الكفار هذا المعنى ، لأنهم أهل اللسان العربي فقالوا (٥:٣٨) أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا لشيء عجيب

= وحده بل كانت هى الغاية التى خلق الله الإنسان والجن لها وخلق السموات والأرض وسخرها للإنسان ليتوفر بكل قواه عليها ، وأرسل الرسل وأنزل الكتب ليبلغها . فمن دعا غير الله أو نذر أو تقرب بأى قرينة جسمية أو مالية لئى أو ولى أو ملك أو أى شيء فى هذا الوجود ، مهما كان عظيماً فى خلقه ، أو فى علمه أو عمله أو صفته ، فإيما نشأ هذا الدعاء والتقرب عن عقيدة القلب بأن فى هذا النبى أو الولى : صفة من صفات الربوبية ، من القوة والرحمة والغنى وغيرها ، ومن هنا كان ذلك أحسن النجس .

فصل

إذا عرفت هذه الأصول فاعلم : أن الله تعالى جعل العبادة له أنواعا :

(إعتقادية) وهى أساسها ، وذلك أن يعتقد أنه الرب الواحد الأحد الذى له الخلق والأمر ، وييده النفع والضرر ، وأنه الذى لا شريك له ، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، وأنه لا معبود بحق غيره ؛ وغير ذلك مما يجب من لوازم الإلهية .

ومنها اللفظية . وهى النطق بكلمة التوحيد . فمن اعتقد ما ذكر ، ولم ينطق بها : لم يحقن دمه ولا ماله . وكان كابليس ، فانه يعتقد التوحيد ؛ بل ويقر به ، كما أسلفناه عنه ، إلا أنه لم يمثل أمر الله فكفر . ومن نطق ولم يعتقد حقن ماله ودمه ، وحسابه على الله . وحكمه حكم المنافقين .

وبدنية . كالقيام والركوع والسجود فى الصلاة

ومنها : الصوم وأفعال الحج والطواف

ومالية : كإخراج جزء من المال أمثالا لما أمر الله تعالى به

وأنواع الواجبات والمندوبات في الأموال والأبدان والأفعال والأقوال كثيرة، اسكن هذه أمهاتها . وإذا تقررت هذه الأمور فاعلم : أن الله تعالى بعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى إفرااد الله تعالى بالعبادة ، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه ، إذ هم مقرون بذلك ، كما قررناه وكررناه . ولذا قالوا (٧ : ٦٩ أجئتنا لنعبد الله وحده ؟) أى : لنفرد بالعبادة ، ونخصه بها من دون آلهتنا ؟ فلم يفكروا إلا طلب الرسل منهم إفرااد العبادة لله . ولم ينكروا الله تعالى ، ولا قالوا : إنه لا يعبد . بل أقروا بأنه يعبد . وأنكروا كونه يفرد بالعبادة ، فعبدوا مع الله غيره ، وأشركوا معه سواه . واتخذوا له أنداداً ، كما قال تعالى (٢ : ٢٢ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) أى : وأنتم تعلمون أنه لا ند له . وكانوا يقولون في تلميتهم للحجج « لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك » وكان يسمعهم النبي صلى الله عليه وسلم عند قولهم « لا شريك لك » ويقول : « قد أفردوه جل جلاله ، لو تركوا قولهم : إلا شريكاً

هو لك » فنفس شركهم بالله تعالى إقرار به ، قال تعالى (٢٢:٦)
أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) (٢٨:٤) وقيل ادعوا شركاءكم
فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) (٧ : ١٩٤) قل ادعوا شركاءكم ثم
كيدون فلا تنظرون) فنفس اتخاذ الشركاء إقرار بالله تعالى ، ولم
يعبدوا الأنداد بالخضوع لهم والتقرب بالندور والمنحصر لهم ، إلا
لاعتقادهم أنها تقربهم إلى الله زلفى ، وتشفع لهم لديه .

فأرسل الله الرسل تأمر بترك عبادة كل ما سواه وتبين أن
هذا الاعتقاد الذى يعتقدونه فى الأنداد باطل ، وأن التقرب
إليهم باطل ، وأن ذلك لا يكون إلا لله وحده . وهذا هو توحيد
العبادة . وقد كانوا مقررين - كما عرفت فى الأصل الرابع -
بتوحيد الربوبية . وهو أن الله هو الخالق وحده والرازق وحده .
ومن هذا تعرف أن التوحيد الذى دعاهم إليه الرسل من أولهم -
وهو نوح عليه السلام - إلى آخرهم - وهو محمد صلى الله عليه
وسلم - هو توحيد العبادة . ولذا تقول لهم الرسل (أن لا تعبدوا
إلا الله) (اعبدوا الله ، ما لكم من إله غيره) .

وقد كان المشركون منهم : من يعبد الملائكة ويناديهم عند الشدائد ، ومنهم من يعبد أحجاراً ويهتف بها عند الشدائد ^(١) ، فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، بأن يفردوه بالعبادة . كما أفردوه بالربوبية ، أى برؤية السموات والأرض . وأن يفردوه بمعنى ومؤدى كلمة « لا إله إلا الله » معتقدين لمعناها ، عاملين بمقتضاها ، وأن لا يدعوا مع الله أحداً . وقال تعالى (١٣ : ١٤) له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) وقال تعالى (٥ : ٢٢) وعلى الله فتوكلوا

« ١ » الأحجار لم تعبد لذاتها وإنما كانت تماثيل لبعض الصالحين ومذكرات بهم ، أو منسوبة إليهم كأحد أعمدة الرخام في المسجد المنسوب للحسين بمصر يتمسح به المشركون للبركة والاستشفاء ، لأنه منسوب إلى أحمد البدوى . فهو يعرف عند عابديه بعمود السيد . وككل الرجوم والأحجار التى أقيمت على القبور ، يتمسح بها المشركون ويتركون بها ويطوفون حولها ، ويعكفون عندها ويقيمون لها الشعائر فى الموالد وغيرها ، كما يعظم المؤمنون بيت الله المحرم وشعائره وحرماته .

إن كنتم مؤمنين) أى من شرط الصدق فى الإيمان بالله : أن لا يتوكلوا إلا عليه ، وأن يفردوه بالتوكل ، كما يجب أن يفردوه بالدعاء والاستغفار ، وأمر الله عباده أن يقولوا (إياك نعبد) ولا يصدق قائل هذا إلا إذا أفرد العبادة لله تعالى ، وإلا كان كاذباً منهياً عن أن يقول هذه الكلمة . إذ معناها : نخصك بالعبادة ونفردك بها دون كل أحد وهو معنى قوله (٥٦: ٢٩ إياى فاعبدون) (٤١: ٢ وإياى فاتقون) كما عرف من علم البيان ، أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر ، أى لا تعبدوا إلا الله ، ولا تعبدوا غيره ، ولا تتقوا غيره ^(١) كما فى الكشف ، فإفراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله له والنداء فى الشدائد والرخاء لا يكون إلا لله وحده ، والاستعانة بالله وحده ، واللجأ إلى الله والنذر والنحر له تعالى ، وجميع أنواع العبادات : من الخضوع والقيام تذلل لله

« ١ » الحصر : جامع بين الإثبات والنفي ، والمعنى : اعبدوا الله ولا تعبدوا غيره ، واتقوه ولا تتقوا غيره ، فإيراد صيغتي النفي إما تحريف من النسخ وهو الأرجح ، وإما سبق قلم من المؤلف

تعالى ، والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والحلق
والتقصير كله لا يكون إلا لله عز وجل ، ومن فعل شيئاً من
ذلك لمخلوق حتى أوميت أو جهاد أو غيره فقد أشرك في العبادة .
وصار من تفعل له هذه الأمور إلهاً لعابديه ، سواء كان ملكاً
أو نبياً أو ولياً أو شجراً أو قبراً أو جنياً أو حياً أو ميتاً . وصار
العابد بهذه العبادة أو بأي نوع منها عابداً لذلك المخلوق مشركاً
بالله . وإن أقر بالله وعبدته ، فإن إقرار المشركين بالله وتقربهم
إليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دماهم وسبي
ذرائعهم ، وأخذ أموالهم غنيمة . قال الله تعالى ^(١) « أنا أغنى
الشركاء عن الشرك » « لا يقبل الله عملاً شورك فيه غيره »
ولا يؤمن به من عبد معه غيره .

فصل

إذا تقرر عندك أن المشركين لم ينفعهم الإقرار بالله مع

« ١ » قوله : قال الله تعالى ، أي في الحديث القدسي الذي

سيأتي بصفحة ٢٥

إشراكهم الانداد من المخلوقين معه في العبادة ، ولا أغنى عنهم
 من الله شيئاً ، وأن عبادتهم هي اعتقادهم فيهم : أنهم يضرون
 وينفعون وأنهم يقر بونهم إلى الله زلفى وأنهم يشفعون لهم عند الله
 تعالى ، فنحروا لهم النحائر ، وطافوا بهم ونذروا النذور عليهم ،
 وقاموا متذللين متواضعين في خدمتهم ، وسجدوا لهم . ومع هذا
 كله ، فهم مقرون لله بالربوبية وأنه الخالق ، ولكنهم لما أشركوا
 في عبادته : جعلهم مشركين ، ولم يعتد بإقرارهم هذا . لأنه ناقاه
 فعلهم . فلم ينفعهم الاقرار بتوحيد الربوبية . فمن شأن من أقر لله
 تعالى بتوحيد الربوبية : أن يفرده بتوحيد العبادة . فإذا لم يفعل
 ذلك ، فالأقرار الأول باطل . وقد عرفوا ذلك وهم في طبقات النار
 فقالوا (٢٦ : ٩٧ ، ٩٨ تالله إن كنا لفي ضلال مبين ؛ إذ
 نسويكم رب العالمين) مع أنهم لم يسووهم به من كل وجه ،
 لا جعلوهم خالقين ولا رازقين ، لكنهم علموا وهم في قعر جهنم
 أن خلطهم الاقرار بذرة من ذرات الاشراك في توحيد العبادة ^(١)
 (١) وعلموا أنهم قد أشركوهم مع الله في الطاعة لما شرعوا لهم =

صَيَّرَهُمْ كَمَنْ سَوَّى بَيْنَ الْأَصْنَامِ ، وَبَيْنَ الرَّبِّ الْأَنَامِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (١٢ : ١٠٦) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) أَيْ مَا يَقْرَأُ أَكْثَرُهُمْ فِي إِقْرَارِهِ بِاللَّهِ وَبِأَنَّهُ خَلَقَهُ وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ إِلَّا وَهُوَ مُشْرِكٌ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ^(١) بَلْ سَمِيَ اللَّهُ الرَّيَاءَ

== مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ . فَإِنَّمَا وَقَعَ مِنْ وَقَعَ مِنْهُمْ فِي الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ بِتَرْكِهِمْ طَاعَةَ اللَّهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ ، وَاتِّبَاعَهُمْ مَا شَرَعَ لَهُمُ الشُّيُوخُ وَالسَّادَةُ وَالرُّؤَسَاءُ مِنَ الصُّوفِيَّةِ الْخُسْرَةِ وَغَيْرِهِمْ ، مَا زَخَرَفُوهُ لَهُمْ مِنَ الدِّينِ الْبَاطِلِ ، الَّذِي عَمَّوْا بِهِ وَضَلُّوا عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ . إِذْ قَلَّدُوهُمْ تَقْلِيداً أَعْمَى كَافِرِينَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ فِي سَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَعَقُولِهِمْ ، مُكَذِّبِينَ لِآيَاتِهِ السَّكُونِيَّةِ وَالْعَلَمِيَّةِ ، فَخَفَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللَّهِ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . فَقَالُوا (وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ) وَقَالُوا : (لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) وَمَنْ أَوْضَحَ وَأَبَيَّنَ الضَّلَالَ وَالغَى وَالْفَسْقَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ : أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ فِي الدُّنْيَا بِهَذَا الْعَمَى أَنَّ آيَاتِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ لَيْسَتْ خُطَاباً وَلَا وَصفاً لَهُمْ ، وَإِنَّمَا هِيَ خُطَابٌ وَوَصَفٌ لِلَّذِينَ مَضَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ . فَهِيَ عِنْدَهُمْ أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ .

(١) وَكُلُّ عِبَادَتِهِمْ الَّتِي يَدْعُونَهَا صَلَاةً وَحُجَّاتٍ وَغَيْرَهَا مَا كَانُوا ==

في الطاعات شركا ، مع أن فاعل الطاعة ما قصد بها إلا الله تعالى وإنما أراد طلب المنزلة بالطاعة في قلوب الناس . فالمرأى عبد الله لا غيره ، لكنه خلط عبادته بطلب المنزلة في قلوب الناس . فلم يقبل له عبادة ، وسماها شركا . كما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا وأشرك فيه معي غيري تركته وشركه » بل سمي الله التسمية بعبد الحرث شركا . كما قال تعالى (٧ : ١٩٠) فلما آتاها صالحا جماله شركاء فيما آتاها) فإنه أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لما حملت حواء - وكان لا يعيش لها ولد - طاف بها إبليس ، وقال : لا يعيش لك ولد حتى تسميه عبد الحرث . فسمته فعاش . وكان ذلك من وحي الشيطان

= يتوجهون بها إلى الله خالصة قلوبهم لله ، بل كلها كانت مشوبة بالشرك بالأولياء والأوثان التي سموها غباوة وبلادة قبورا ومشاهد ومقامات ، وما هي إلا الأوثان والأصنام بعينها لو كانوا يفتقرون .

وأمره . فأنزل الله الآيات وسمى هذه التسمية شركا . وكان إبليس تسمى بالحرث » والقصة في الدر المنثور وغيره ^(١) .

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآيتين (٧ : ١٦٩ ، ١٦٠) هو الذي خلقكم من نفس واحدة الخ (بعد أن ساق هذا الحديث من رواية الإمام أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم - والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه .) (أحدها) أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري . وقد وثقه ابن معين ، ولكن قال أبو حاتم الرازي : لا يحتج به . ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعا ، والله أعلم . (الثاني) أنه قد روى من قول سمرة نفسه ليس مرفوعا ، كما قال ابن جرير (الثالث) أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا ، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه . قال ابن جرير : عن الحسن (جعل له شركاء فيما آتاهما) قال : كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم . ثم روى عن الحسن أيضاً « عني بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده » وعن الحسن أيضاً قال : هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهم ودوهم ونصروهم ثم قال ابن كثير : وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن : أنه فسر =

فصل

قد عرفت من هذا كله : أن من اعتقد في شجر أو حجر ، أو
قبر أو ملك أو جنى أو حى أو ميت : أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب
= الآية بذلك . وهو من أحسن التفاسير ، وأولى ما حملت عليه
الآية . ولو كان هذا الحديث محفوظا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما عدل عنه هو ولا غيره ، ولا سيما مع تقواه لله وورعه .
فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي ويحتمل أنه تلقاه من
بعض أهل الكتاب ، مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه أو غيرهما
ثم روى ابن كثير آثارا عن ابن عباس وغيره ، ثم قال : وهذه
الآثار يظهر عليها — والله أعلم — أنها من آثار أهل الكتاب —
إلى أن قال — وأما نحن : فعلى مذهب الحسن البصرى في هذا ،
وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء . وإنما المراد من ذلك
المشركون من ذريته . ولهذا قال الله (فتعالى الله عما يشركون) اه
ومن أعجب العجب أن يقول المفسرون : إن آدم أشرك بعد
أن ذكر الله أنه تاب عليه واجتبه . والآية واضحة في شرك قريش
ومن بعدهم من كل من اتخذ من دون الله أولياء وأنداداً . ومسايقها
لإقامة الحجة عليهم بأن الله هو الذي خلقهم من بطون أمهاتهم =

إلى الله ، أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل إلى الرب تعالى - إلا ما ورد في حديث فيه مقال في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو نحو ذلك ^(١) فإنه قد أشرك

= وظهور آبائهم ، كما يخلق لهم ذرياتهم التي يرونها بأنفسهم ، فكيف يرون ويحسون تلك الآيات من قدرة الله ورحمته وحده . ثم يتخذون من دونه الشركاء ، فيدعون أولياءهم عند وضع هذه الأجنة ، وتنادى المرأة : يا أم هاشم ، يا بدوى ، يا ابن عباس وغيرهم ممن كانوا هم أجنة في بطون أمهاتهم ، خلقهم الله وصورهم ، وأخرجهم إلى هذه الحياة ، وعلمهم العلم ، وهداهم إلى صراطه المستقيم ، إن كانوا من المؤمنين ، مثل ابن عباس أو الحسين مثلاً . وأدل الدليل على ذلك : سياق الآيات قبل وبعد ، إذ يقول الله بعدها (أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون - إلى أن قال - إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - الآيات) فهي واضحة لا خفاء بها : أنها خطاب وتوبيخ وتقرير للمشركين في كل زمن وكل بلد . والله أعلم

(١) المراد حديث توسل الأعمى وهو حديث ضعيف واه ، ومع ذلك فليس فيه ما يخل بالتوحيد كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية =

مع الله غيره ، واعتقد مالا يحل اعتقاده ، كما اعتقد المشركون في
الأوثان فضلا عن ينذر بماله وولده لميت أو حي ، أو يطلب من
ذلك الميت مالا يطلب إلا من الله تعالى من الحاجات : من عافية
مريضه ، أو قدوم غائبه ، أو نياله لأى مطلب من المطالب . فإن
هذا هو الشرك بعينه ، الذى كان ويكون عليه عباد الأصنام .

والنذر بالمال على الميت ونحوه ، والنحر على القبر والتوسل به
وطلب الحاجات منه هو بعينه الذى كانت تفعله الجاهلية . وإنما
كانوا يفعلونه لما يسمونه وثنا وصنما^(١) . وفعله القبور يرون لما يسمونه

= رحمه الله في كتاب التوسل والوسيلة . وهو كتاب لا يستغنى عنه
مسلم في هذا العصر ، كشأن كل كتب شيخ الإسلام وتلميذه
العلامة ابن القيم رحمهما الله .

(١) كلا ، لم يكونوا يسمونهم كذلك ، وإنما كانوا يسمونهم
أولياء ، كما حكى الله تعالى عنهم ، إذ يقول (٣٩ : ٣) والذين اتخذوا
من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ، ويقول :
(٤٢ : ٦) والذين اتخذوا من دونه أولياء ، الله حفيظ عليهم وما
أنت عليهم بوكيل) ويقول (٤٢ : ٩) أم اتخذوا من دونه أولياء =

ولياً وقبراً ومشهداً ، والأسماء لا أثر لها ولا تغير المعاني ، ضرورة لغوية وعقلية وشرعية . فإن من شرب الخمر وسماها ماء : ما شرب إلا خمرًا ، وعقابه عقاب شارب الخمر . ولعله يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية .

وقد ثبت في الأحاديث أنه يأتي قوم يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها ، وصدق صلى الله عليه وسلم : فإنه قد أتى طوائف من الفسقة يشربون الخمر ويسموننها نبيذاً . وأول من سمى ما فيه غضب الله وعصيانه بالأسماء المحبوبة عند السامعين : إبليس لعنه الله فإنه قال لأبى البشر آدم عليه السلام (٢٠ : ١٢٠) يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟) فسمى الشجرة التي

= فالله هو الولي وهو يحيى الموتى (وهذا في القرآن كثير جداً ، مما يدل على أنه لا فرق مطلقاً بين البدوي وابن عربي وأمثالهما من أوليائهم وبين اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . عباد من بنى آدم ، زعم الأولون أنهم أولياء فاتخذوا قبورهم معابد ، كذلك صنع الآخرون حذوك النعل بالعل ، كما أخبر الصادق صلى الله عليه وسلم : « اتركبن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع »

نهى الله تعالى آدم عن قربانها شجرة الخلد ، جذبا لطبعه إليها ،
وهزأ لنشاطه إلى قربانها ، وتديسا عليه بالاسم الذى اخترعه لها ،
كما يسمى إخوانه المقلدون له الحشيشة : بلقمة الراحة . وكما يسمى
الظلمة ما يقبضونه من أموال عباد الله ظلما وعدوانا : أدبا .
فيقولون : أدب القتل ، أدب السرقة ، أدب التهمة ، بتعريف
اسم الظلم إلى اسم الأدب ، كما يحرفونه فى بعض المقبوضات إلى
اسم النفاقة ، وفى بعضها إلى اسم السياقة . وفى بعضها أدب
المسكايل والموازن . وكل ذلك اسمه عند الله : ظلم وعدوان . كما
يعرفه من شم رائحة السكتاب والسنة ، وكل ذلك مأخوذ عن
إبليس ، حيث سمي الشجرة المنهى عنها شجرة الخلد .

وكذلك تسمية القبر مشهداً ومن يعتقدون فيه وليا : لا يخرجهم
عن اسم الصنم والوثن ، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام
ويطوفون بهم طواف الحجاج ببیت الله الحرام ، ويستلمونهم
استلامهم لأركان البيت ، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية
من قولهم : على الله وعليك ، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد

ونحوها وكل قوم لهم رجل ينادونه . فأهل العراق والهند يدعون
عبد القادر الجبلى ، وأهل التهانم لهم فى كل بلد ميت يهتفون
باسمه يقولون : يا زيلعى ، يا ابن العجبل ، وأهل مكة وأهل الطائف
يا ابن العباس ، وأهل مصر : يا رفاعى ، يا بدوى . والسادة
البكرية : وأهل الجبال : يا أبا طير ، وأهل اليمن : يا ابن علوان .
وفى كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لطلب
الخير ودفع الضر . وهذا هو بعينه فعل المشركين فى الأصنام .
كما قلنا فى الأبيات النجدية :

أعادوا بها معنى سواع ومثله يفتو وود ، ليس ذلك من ودى
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم نحرو فى سوحها من نخيرة أهلت لغير الله جهلا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبلا ويلتمس الأركان منهم بالأيدي
فإن قال : إنما نحرت لله وذكرت اسم الله عليه . فقل : إن
كان النحر لله فلاى شىء قربت ما تنحره من باب مشهد من
تفضله وتعتقد فيه ؟ هل أردت بذلك تعظيمه ؟ إن قال : نعم ،

فقل له : هذا النحر لغير الله ، بل أشركت مع الله تعالى غيره ، وإن لم ترد تعظيمه ، فهل أردت توسيع باب المشهد وتفجيس الداخلين إليه ؟ أنت تعلم يقينا : أنك ما أرت ذلك أصلا ، ولا أردت إلا الأول ، ولا خرجت من بيقك إلا قصداً له ^(١) ثم كذلك دعاؤهم له .

(١) وكيف يخدع الشيطان هذا النبي وأمثاله بقولهم : إننا ننحرها لله ونهب ثوابها للولي . وهو ما اشتراها إلا بإسم وليه ، وما أطعمها وسقاها ولا سرحت ولا راحت ولا دخلت ولا خرجت إلا بإسم وليه ، ولا يطعمها من يطعمها إلا على البركة بإسم هذا الولي ، فباعتجبا ماذا بلغ من غباوة هؤلاء وضلالهم وتغدير الشيطان بهم ؟ لأنهم مقلدون عميان (صم بكم عمى فهم لا يعقلون) لا فرق فيهم بين معمم يدعى العلم زوراً وبهتاناً ، وهو من أجهل خلق الله بالعلم المنزل ، بل من أشدهم عداوة له ، وبين غير معمم فالكل « كالأنعام بل هم أضل سبيلاً » واسمع إلى قول الله في ذلك (٦ : ١٢١ ، ١٢٢) ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ، وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوك ، وإن أطعمتموهم إنكم لمشركون ، أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا =

م - ٢ - تطهير

فهذا الذى عليه هؤلاء : شرك بلا ريب .

وقد يعقدون فى بعض فسقة الأحياء . وينادونه فى الشدة
والرخاء . وهو عاكف على القبائح والفضائح ، لا يحضر حيث
أمر الله عبادته المؤمنين بالحضور هناك ، ولا يحضر جمعة ولا جماعة
ولا يعود مريضاً ولا يشيع جنازة ، ولا يكتسب حلالاً ، ويضم

= له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج
منها ؟ كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) فانظر وتفكر يا من
أحيا الله قلبه بالقرآن والسنة ، وجعل له من فهمهما واتباعهما
نوراً يمشى بين أولئك العمى الذين لا يعقون ، كيف إن الله حذر
من أن تخدع نفسك بما يوحى به شياطين الجن والإنس إلى
أوليائهم : بأنهم قد قالوا عند الذبح : باسم الله الله أكبر . واعلم
أن ذلك لا يمكن أن يحسوا ما فى قلوبهم من الشرك الأكبر الذى
أنطق ألسنتهم عند شراء الشاة للولى ، ودعائها بالليل والنهار : شاة
فلان أو فلانة ، حتى إنهم ليتبركون بها ، لأنها منسوبة إلى وليهم
وإلههم . واعلم بأن تسميتهم الله عند ذبحها لا يغير حقيقة شركهم بها ،
لأنهم إنما يطعمونها على بركة الولى والولية ، والتسمية تجرى
على ألسنتهم عادة لا عبادة .

إلى ذلك دعوى التوكل وعلم الغيب^(١) ، ويجلب إليه إبليس
جماعة قد عشش في قلوبهم ، وباض فيها وفرخ ، يصدقون بهتانته
ويعظمون شأنه ، ويجعلون هذا نداً لرب العالمين ومثلاً ، فياللعقول
أين ذهبت ؟ ويا لانسرائع كيف جهلت ؟ (١٥٤: ٧) إن الذين تدعون
من دون الله عباد أمثالكم .

فإن قلت : أفيصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والأولياء
والفسقة والخلعاء مشركين ، كالذين يعتقدون في الأصنام ؟ .

قلت : نعم ، قد حصل منهم ما حصل من أولئك ، وساووهم
في ذلك ، بل زادوا في الاعتقاد والانقياد والاستعباد ؛ فلا فرق
بينهم .

فإن قلت : هؤلاء القبوريون يقولون : نحن لا نشرك بالله
تعالى ، ولا نجعل له نداً ، والاتجاه إلى الأولياء ليس شركاً .

(١) وإنما هو التواكل ، والعيش على السحت الذي يبتزّه من
أنبياء الأنعام ، ودعوى التصرف في السكون ، وأن الله قد اتخذ
وكيلاً عنه . سبحانه الله وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

قلت : نعم (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك . فان تعظيمهم الأولياء ، ونحرم النحائر لهم شرك . والله تعالى يقول (فضل لربك وانحر) أى لا اغيره ، كما يفيدته تقديم الظرف ^(١) ويقول تعالى (٧٢ : ١٨) وأن المساجد لله ، فلا تدعوا مع الله أحداً) ^(٢) وقد عرفت بما قدمناه قريباً أنه صلى الله عليه وسلم سمي الرياء شركاً فكيف بما ذكرناه ؟ فهذا الذى يفعلونه لأوليائهم : هو عين ما فعله المشركون وصاروا به مشركين ، ولا ينفعهم قولهم : نحن لا نشرك بالله شيئاً . لأن فعلهم أ كذب قولهم ^(٣)

(١) يريد تقديم الجار والمجرور « لربك » فإن معنى الآية : فانحر لربك لا اغيره . (٢) وقد حكى الله عن هؤلاء : أنهم قالوا (٦ : ٢٣) والله ربنا ما كنا مشركين) وبناء المسجد والقبعة على الميت : يصرف الناس - ولا بد - إلى دعاء القبور ، فلا يكون المسجد لله إلا إذا طهر من القباب والقبور
(٣) وتدبر لماذا قرن الله النهى عن دعاء غيره بإلزام أن تكون المساجد لله وحده ، تعرف من ذلك أن بناء المساجد على =

فإن قلت : هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلونه
قلت : قد خرّج الفقهاء في كتب الفقه في باب الردة : أن
من تكلم بكلمة الكفر يكفر ؛ وإن لم يقصد معناها . وهذا
دال على أنهم لا يعرفون حقيقة الاسلام ، ولا ماهية التوحيد ،
فصاروا حينئذ كفاراً كفراً أصلياً . فالله تعالى فرض على عباده

== القبور باسم الأولياء لا بد أن يفضى إلى دعاء غير الله وعبادته مع
الله . ولذلك لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى المساجد
على القبور وأسرجها وعظمها ، والله عليم حكيم . وإن الواقع الآن
في البلاد والقرى يدل لذلك دلالة واضحة . فإن المقابر الدائرة التي
لم تبين عليها القباب ولم تقم عليها الأنصاب والمقاصير : فيها كثير
من الصحابة والأئمة والصالحين ، لم يفتن بها أحد ، بل لا يخطر على
بال أحد زيارتها للموعظة ، في حين أن كثيراً من الموثى الفاسقين
والكافرين من الصوفية يعبدون من دون الله بكل أنواع العبادة .
لأنهم قد بنيت على قبورهم القباب وشيدت عليها المساجد . فكانت
أفصح لسان للدعوة إلى عبادتهم من دون الله . فنسأل الله أن
يعجل بهم هذه الانصاب والقباب وتطهير الأرض منها ، كما أمر
الله ورسوله .

إفراده بالعبادة (أن لا تعبدوا إلا الله) وإخلاصها (٩٨ : ٥
وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) الآية . ومن نادى
الله ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، وخوفاً وطمعا . ثم نادى معه
غيره ، فقد أشرك في العبادة . فإن الدعاء من العبادة . وقد سماه
الله تعالى عبادة في قوله تعالى : (٤٠ : ٦٠) إن الذين يستكبرون
عبادتي (بعد قوله (أدعوني أستجب لكم)^(١)

فإن قلت : فإذا كانوا مشركين وجب جهادهم والسلوك فيهم
ما سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشركين .

قلت : إلى هذا ذهب طائفة من أئمة العلم . فقالوا : يجب
أولاً دعاؤهم إلى التوحيد ، وإبانة أن ما يعتقدونه ينفع ويضر

(١) بل سماه الله الدين ، إذ يقول (٧ : ٢٩) وادعوه مخلصين له
الدين) أي مخلصين له الدعاء الذي هو لب الدين وخالصة ، ويقول
(٤٠ : ١٤) فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون)
ويقول (٤٠ : ٦٥) هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له
الدين . الحمد لله رب العالمين)

لا يغنى عنهم من الله شيئاً ، وأنهم أمثالهم ، وأن هذا الاعتقاد منهم
فيهم شرك ، لا يتم الإيمان بما جاءت به الرسل إلا بتركه والتوبة
منه . وإفراد التوحيد - اعتقاداً وعملاً - لله وحده . وهذا واجب
على العلماء ، أى بيان أن ذلك الاعتقاد الذى تفرعت عنه النذور
والنحائر والطواف بالقبور : شرك محرم ، وأنه عين ما كان يفعله
المشركون لأصنامهم . فإذا أبان العلماء ذلك للأئمة والملوك وجب
على الأئمة والملوك بعث دعاة إلى الناس يدعونهم إلى إخلاص
التوحيد لله . فمن رجع وأقر حَقَّ عليه دمه وماله وذراياه .
ومن أصر فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله صلى الله عليه وسلم من
المشركين .

فإن قلت : الاستغائة قد ثبتت فى الأحاديث . فإنه قد صح
أن العباد يوم القيامة يستغيثون بآدم أبى البشر ، ثم بإبراهيم ، ثم
بموسى ثم بعيسى ، وينتهون إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد
اعتذار كل واحد من الأنبياء . فهذا دليل على أن الاستغائة بغير
الله ليست بمنكر .

قلت : هذا تلبيس . فإن الاستغاثاة بالخلقين الأحياء فيما
يقدرون عليه لا ينكرها أحد . وقد قال الله تعالى في قصة موسى
مع الاسرائيلي والقبضى (٢٨ : ١٥) فاستغاثه الذى من شيعته علي
الذى من عدوه) وإنما الكلام فى استغاثاة القبوريين وغيرهم
بأولياهم ، وطلبهم منهم أموراً لا يقدر عليها إلا الله تعالى : من
عافية المريض وغيرها . بل أعجب من هذا : أن القبوريين وغيرهم
من الأحياء من أتباع من يعتقدون فيه : يجعلون له حصّة من
الولد إن عاش ، ويشترّون منه الحمل فى بطن أمه ليعيش ، ويأتون
بمنكرات ما بلغ إليها المشركون الأولون . ولقد أخبرنى بعض من
يتولى قبض ما يقدر القبوريون لبعض أهل القبور : أنه جاء إنسان
بدراهم وحلية نساءه ، وقال : هذه لسيده فلا - يريد صاحب
القبر - نصف مهر ابنتى . لأنى زوجها وكنت ملكك نصفها
فلانا - يريد صاحب القبر .

وهذه النذور بالأموال ، وجعل قسط للقبر ، كما يجعلون شيئاً من
الزرع يسمونه « تلما » فى بعض الجهات اليمنية . وهذا شئ ما بلغ

إليه عباد الأصنام ، وهو داخل تحت قول الله تعالى (١٦ : ٥٦)
ويجملون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم (بلا شك ولا ريب .
نعم استغاثه العباد يوم القيامة وطلبهم من الأنبياء إنما يدعون
الله تعالى ليفصل بين العباد بالحساب ، حتى يريحهم من هول الموقف
وهذا لا شك في جوازه ، أعنى طلب الدعاء لله تعالى من بعض
عباده لبعض ، بل قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه لما خرج
معيماً « لا تنسنا يا أخى من دعائك » وأمرنا سبحانه أن ندعوه المؤمنين
ونستغفر لهم في قوله تعالى (٥٩ : ١٠) ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين
سبقونا بالإيمان) وقد قالت أم سليم رضي الله عنها : « يا رسول الله
خادمك أنس ، أدع الله له » وقد كان الصحابة رضي الله عنهم
يطلبون الدعاء منه صلى الله عليه وسلم وهو حيّ وهذا أمر متفق على
جوازه . والكلام في طلب القبور بين من الأموات أو من الأحياء
الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوا
أن يشفوا . رضاهم ، ويردوا غائبهم ، وينفسوا عن حبالهم ، وأن
يسقوا زرعهم ، ويدروا ضروع مواشيهم ، ويحفظوها من العين ،

ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله - هؤلاء هم الذين قال الله تعالى فيهم (٧: ١٩٧) والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون (٧: ١٩٤) إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فكيف يطلب الإنسان من الجداد أو من حي - الجداد خير منه - لأنه لا تكليف عليه .

وهذا يبين ما فعله المشركون الذين حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى (٦: ١٣٦) وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا ، فقالوا : هذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا (الآية) . وقال (١٦: ٥٦) ويعلمون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون) فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الأحياء وضلالهم سلكوا مسالك المشركين حَذُّو القُدَّة بالقُدَّة^(١) فاعةقدوا فيهم مالا يجوز أن يعتد إلا في الله ، وجعلوا لهم جزءا من المال ، وقصدوا قبورهم من ديارهم البعيدة للزيارة ، وطافوا حول قبورهم ، وقاموا خاضعين عند قبورهم ، وهتفوا بهم عند الشدائد ، ونحروا تقريبا إليهم -

(١) القُدَّة - بضم القاف - ريش السهم .

وهذه هي أنواع العبادات التي عرفناك - ولا أدري : هل فيهم من يسجد لهم ؟ لا أستبعد أن فيهم من يفعل ذلك ، بل أخبرني من أثق به أنه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولي الذي يقصده ، تعظيماً له وعبادة ، ويقسمون بأسمائهم . بل إذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبلوا منه فإذا حلف باسم ولي من أوليائهم قبلوه وسدقوه . وهكذا كان عباد الأضنام (٤٥ : ٣٩) إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) وفي الحديث الصحيح « من كان حالفاً حلف فليحلف بالله أو ليصمت » وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يحلف باللات ، فأمره أن يقول « لا إله إلا الله » وهذا يدل على أنه ارتد بالحلف بالصنم ^(١) فأمره أن

(١) كان ينبغي أن يقول : لأنه حلف بغير الله ؛ إذ لا فرق في تعظيم المحلوف بين الصنم وغيره ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « من حلف بغير الله فقد أشرك » رواه أحمد وأبو داود والترمذي ، ولفظهما « فقد كفر » وصححه الحاكم ، بل الحلف به قد جعله =

يجدد إسلامه . فإنه قد كفر بذلك ، كما قررناه في «سبل السلام
شرح بلوغ المرام» وفي «منحة الغفار»

فإن قلت : لا سواء . لأن هؤلاء قد قالوا «لا إله إلا الله»
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى
يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا
بحقها» وقال لأسامة بن زيد «قتلته بعدما قال : لا إله إلا الله» ؟
وهؤلاء يصلون ويصومون ويذكرون ويحجون ، بخلاف المشركين
قلت : قد قال صلى الله عليه وسلم «إلا بحقها» وحقها :

== صنا وندأ لله . لأن في الحلف نوعاً من تعظيم العبادة . لأن
معناها : أقسم بهذا الذي أحلف به أنى صادق ، وإن كنت كاذباً
ينتقم مني انتقاماً لا أستطيع ولا يستطيع أحد دفعه عقاباً لي على
الحلف به كاذباً . وهم يحكون في ذلك حكايات اختلقوها : أن
حالفاً حلف بالولي كاذباً أنه ما سرق منك . فما كاد ينتهي من
حلفه حتى تصرف الولي فيه وأخرجها من بطنه . وأمثال هذا كثير
عند سدنة هذه الأوثان يخلقونها ويذيعونها في العامة ترويحاً
لتجارتهن الخاسرة . قبحهم الله .

إفراد الإلهية والعبودية لله تعالى . والقبور يرون لم يفرّدوا الإلهية والعبادة . فلم تنفعهم كلمة الشهادة . فإنها لا تنفع إلا مع التزام معناها كما لم ينفع اليهود قولها لإنكارهم بعض الأنبياء . وكذلك من جعل غير من أرسله الله نبياً : لم تنفعه كلمة الشهادة . ألا ترى أن بنى حنيفة كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ويصلون ، ولكنهم قالوا : إن مسيلمة نبي . فقاتلهم الصحابة وسبواهم ، فكيف بمن يجعل للولى خاصة الإلهية ويناديه اللهيات ؟ وهذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه حرق أصحاب عبد الله بن سبأ ، وكانوا يقولون : نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ولكن غلوا فى على رضى الله عنه ، واعتقدوا فيه ما يعتقد القبور يرون وأشبهاهم . فعاقبهم عقوبة لم يعاقب بها أحداً من العصاة ، فإنه حفر لهم الخفائر ، وأجج لهم ناراً وأقام فيها . وقال :

إني إذا رأيت الأمر أمراً منكراً

أجبت ناري ، ودعوت قفبرا

وقال الشاعر في عصره :

لَتَرْمِ بِي النِّيةُ حَتَّى شَاءَتْ إِذَا لَمْ تَرَمْ بِي فِي الْخَفَرَتَيْنِ
إِذَا مَا أَجْبُوا فِيْهِنَّ نَاراً رَأَيْتَ الْمَوْتَ نَقْداً غَيْرَ دِينِ
والقصة في فتح الباري وغيره من كتب الحديث والسير

وقد وقع إجماع الأمة على أن من أنكر البعث كفر وقتل ،
ولو قال : لا إله إلا الله ، فكيف بمن يجعل لله نداً ؟ .

فإن قلت : قد أنكر صلى الله عليه وسلم على أسامة قتله
لمن قال « لا إله إلا الله » كما هو معروف في كتب الحديث والسير
قلت : لاشك أن من قال : لا إله إلا الله من الكفار حقن
دمه وماله ، حتى يتبين منه ما يخالف ما قاله ، ولذا أنزل الله في
قصة مُحَلَّمِ بْنِ جَثَامَةَ (٤ : ٩٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا - (الآية) فَأَمْرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْتَّبَيُّنِ فِي شَأْنٍ مِنْ
قَالَ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ . فَإِنْ التَزَمَ لِعَفَاها كَانَ لَهُ مَالُ الْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِ
مَا عَلَيْهِمْ ، وَإِنْ تَبَيَّنَ خِلَافُهُ : لَمْ يَحِقْنَ دَمُهُ وَمَالُهُ بِمَجْرَدِ التَّلَفُظِ .
وهكذا كل من أظهر التوحيد ، وجب الكف عنه إلى أن

يتبين منه ما يخالف ذلك ، فإذا تبين لم تنفعه هذه الكلمة بمجرد ها . ولذلك لم تنفع اليهود ، ولا نفعت الخوارج مع ما انضم إليها من العبادة ، التي يحقر الصحابة عبادتهم إلى جنبها ، بل أمر صلى الله عليه وسلم بقتلهم ، وقال « لن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد » وذلك لما خالفوا بعض الشريعة . وكانوا شر القتل تحت أديم السماء ، كما ثبتت به الأحاديث .

ثبت أن مجرد كلمة التوحيد غير مانع من ثبوت شرك من قالها لارتسكابه ما يخالفها من عبادة غير الله .

فإن قلت : القبور يرون وغيرهم — من الذين يعتقدون في فسقة الناس وجهالهم من الأحياء — يقولون : نحن لا نعبد هؤلاء ، ولا نعبد إلا الله وحده ؛ ولا نصلي لهم ، ولا نصوم ، ولا نحج . قلت : هذا جهل بمعنى العبادة ؛ فإنها ليست منحصرة فيما ذكرت . بل رأسها وأساسها الاعتقاد . وقد حصل في قلوبهم ذلك ، بل يسمونه معتقداً . ويصنعون له ما سمعته مما تفرع عن الاعتقاد : من دعائهم ، وندائهم ، والتوسل بهم ، والاستغاثة والاستعانة ، والحلف والنذر وغير ذلك . وقد ذكر العلماء : أن من

تزيى بزي الكفار صار كافرا ، ومن تسلم بكلمة الكفر صار كافرا . فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقاداً وقولاً وفعلًا ؟ .
فإن قلت : هذه النذور والنحائر ما حكمها ؟ .

قلت : قد علم كل عاقل : أن الأموال عزيزة عند أهلها ،
يسعون في جمعها ، ولو بارتكاب كل معصية ، ويقطعون النفاق
من أدنى الأرض والأقصى . فلا يبذل أحد من ماله شيئاً
إلا معتقداً لجلب نفع أكثر منه ، أو دفع ضرر . فالناذر للقبر
مأخرج ماله إلا لذلك . وهذا اعتقاد باطل ، ولو عرف الناذر
بطلان ما أراده : مأخرج درهما ، فإن الأموال عزيزة عند أهلها ،
قال تعالى (٤٧ : ٣٦ ، ٣٧) ولا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ، إن
يَسْأَلْكُمْوَهَا فَيُخْفِكُمْ تَخَفُوا ، ويخرج أضغانكم) فالواجب
تعريف من أخرج النذر بأنه إضاعة لماله . وأنه لا ينفعه ما يخرج
ولا يدفع عنه ضرراً ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن النذر
لا يأتي بخير ، وإنما يستخرج به من البخيل » ^(١) ويجب رده إليه ،
(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر .

وأما القابض للنذر : فإنه حرام عليه قبضه . لأنه أكل لمال الناذر
 بالباطل ، لافي مقابلة شيء ، وقد قال تعالى (١٨٨:٢) ولا تأكلوا
 أموالكم بينكم بالباطل) ولأنه تقرير الناذر على شركه وقبح
 اعتقاده ؛ ورضاه بذلك ، ولا يخفى حكم الراضي بالشرك (٤٨:٤)
 إن الله لا يغفر أن يشرك به - الآية) فهو مثل حلوان السكاهن
 ومهر البغي ، ولأنه تدليس على الناذر ؛ وإيهام له أن الولي
 ينفعه ويضره . فأى تقرير لمنكر أعظم من قبض النذر على
 الميت ؟ وأى تدليس أعظم ، وأى رضى بالمعصية العظمى أبلغ من
 هذا ؟ وأى تصيير لمنكر معروفا أعجب من هذا ؟ وما كانت النذور
 الأصنام والأوثان إلا على هذا الأسلوب : يعتقد الناذر جلب النفع
 فى الصنم ودفع الضرر ، فينذرله جَزَورًا من ماله ، ويقاسمه فى
 غلات أطيانه ، ويأتى به إلى سدنة الأصنام فيقبضونه منه ،
 ويوهمونه حقية عقيدته ، وكذلك يأتى ببجيرته ، فيمنحها بباب
 الصنم ، وهذه الأفعال : هي التي بعث الله الرسل لإزالتها ومحوها
 وإتلافها والنهي عنها .

فإن قلت : إن الناذر قد يدرك النفع ودفع الضرر بسبب إخراجهم للنذر وبذله .

قلت : كذلك الأصنام قد يدرك منها ما هو أبلغ من هذا وهو الخطأ من خوفها ، والإخبار ببعض ما يكتمه الإنسان . فإن كان هذا دليلاً على حقيقة القبور وصحة الاعتقاد فيها : فليكن دليلاً على حقيقة الأصنام ، وهذا هدم للإسلام ، وتشديد لأركان الأصنام .

والتحقيق : أن لإبليس وجنوده من الجن والإنس أعظم العناية في إضلال العباد . وقد مكّن الله إبليس من الدخول في الأبدان والوسوسة في الصدور والتقام القاب بخرطومه . فكذلك يدخل أجواف الأصنام ، ويبقى الكلام في أسماع الأقوام ، ومثله يصنعه في عقائد القبور بين ، فإن الله تعالى قد أذن له أن يجلب بحيله ورجله على بنى آدم ، وأن يشاركهم في الأموال والأولاد ، وثبت في الأحاديث « أن الشيطان يسترق السمع بالأمر الذي يحدثه الله ، فيلقيه إلى الكهان — وهم الذين يخبرون بالمغيبات

ويزيدون فيما يلقيه الشيطان من عند أنفسهم مائة كذبة .
ويقصد شياطين الجن شياطين الإنس من سدنة القبور وغيرهم .
فيقولون : إن الولي فعل وفعل ، يُرَغَّبونهم فيه ويحذرونهم منه ،
وترى العامة ملوك الأفطار وولاة الأمصار معرزين لذلك ،
ويولون العمال لقبض النذور . وقد يتولاها من يحسنون فيه الظن
من عالم أو قاض أو مفت ، أو شيخ صوفي ، فيتم التدليس لإبليس
وتقر عينه بهذا التلبس .

فإن قلت : هذا أمر عمّ البلاد ، واجتمعت عليه سكان
الأغوار والأنجاد ، وطبّق الأرض شرقاً وغرباً ، ويمناً وشاماً
وجنوباً وعدناً . بحيث لا تجد بلدة من بلاد الإسلام إلا وفيها
قبور ومشاهد وأحياء يعتقدون فيها ويعظمونها ، وينذرون لها ،
ويهتمون بأسمائها ، ويحلفون بها ، ويطوفون بفناء القبور ،
ويسرجونها ويلقون عليها الأوراد والرياحين ، ولبسونها الثياب
ويصنعون كل أمر يقدرون عليه من العبادة لها ، وما في معناها
من التعظيم والخضوع والخشوع والتذلل والافتقار إليها ، بل هذه

مساجد المسلمين غالبها لا يخلو عن قبر أو قريب منه . أو مشهد يقصده المصلون في أوقات الصلاة ، يصنعون فيه ماذكر ، أو بعض ماذكر ، ولا يسع عقل عاقل أن هذا منكر يبلغ إلى ما ذكرت من الشناعة ، ويسكت عليه علماء الإسلام الذين ثبتت لهم الوطأة في جميع جهات الدنيا .

قلت : إن أردت الانصاف ، وتركت متابعة الاسلاف وعرفت أن الحق : ما قام عليه الدليل ، لا ما اتفق عليه العوالم جيلا بعد جيل وقبيل بعد قبيل ، فاعلم أن هذه الأمور التي نُدّنين حول إنكارها ونسعى في هدم منارها : صادرة عن العامة الذين إسلامهم تقليد الآباء بلا دليل ، ومتابعتهم لهم من غير فرق بين دني ومثيل ، ينشأ الواحد فيهم فيجد أهل قريته وأصحاب بلدته يلقنونه في الطفولية : أن يهتف باسم من يعتقدون فيه ، ويأمرهم يندرون عليه ويعظمونه ، ويرحلون به إلى محمل قبره ، ويلطمخونه بترابه ويجعلونه طائفا على قبره . فينشأ وقد قرّ في قلبه عظمة ما يعظمونه وقد صار أعظم الأشياء عنده من يعتقدونه ، فنشأ على هذا الصغير

وشاخ عليه الكبير . ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير .
بل ترى من يتسم بالعلم ويدعى الفضل ، وينتصب للقضاء والفتيا
والتدريس أو الولاية أو المعرفة ، أو الإمارة والحكومة ، معظماً
لما يعظمونه مكرماً لما يكرمونه ، قابضاً للندور ، آكلًا ما ينحر
على القبور ، فيظن العامة أن هذا دين الإسلام وأنه رأس الدين
والسنام ولا يخفى على أحد يتأهل للنظر ، ويعرف بارقة من علم
الكتاب والسنة والأثر : أن سكوت العالم أو العالم على وقوع
منكر ليس دليلاً على جواز ذلك المنكر .

ولنضرب لك مثلاً من ذلك . وهي هذه المكوس المسماة
بالجاني ، المعلوم من ضرورة الدين تحريمها . قد ملأت الديار والبقاع
وصارت أمراً مانوساً لا يلج إنكارها إلى سمع من الأسماع ، وقد
امتدت أيدي المسكسين في أشرف البقاع في مكة أم القرى ؛
يقبضون من القاصدين لأداء فريضة الإسلام ، ويلقون في البلد
الحرام كل فعل حرام ، وسكانها من فضلاء الأنام . والعلماء
والحكام ، ساكتون عن الإنكار ، معرضون عن إيراده

والإصدار - أفيكون السكوت دليلاً على حل أخذها وإحرازها؟
هذا لا يقوله من له أدنى إدراك

بل أضرب لك مثلاً آخر . هذا حرم الله الذي هو أفضل بقاع
الدنيا بالانفاق ، وإجماع العلماء أحدث فيه بعض ملوك الشراكسة
الجهلة الضلال : هذه المقامات الأربعة ، التي فرقت عبادات العباد ،
واشتملت على مالا يحصيه إلا الله عز وجل من الفساد ، وفرقت
عبادات المسلمين ، وصيرتهم كالمثلل المختلفة في الدين ، بدعة فرت
بها عين إبليس اللعين ، وصيرت المسلمين ضحكة للشياطين وقد
سكت الناس عليها ، ووفد علماء الآفاق والابدال والأقطاب
إليها ^(١) ، وشاهدها كل ذي عينين ، وسمع بها كل ذي أذنين ،

(١) هذا خطأ منه رحمه الله . فلا أبدال ولا أقطاب . فما كان
الشرك والبلاء إلا من الصوفية الذين زعموا الأبدال والأقطاب . أو
لعل الشيخ رحمه الله يقصد : الذين يعتقدهم الناس كذلك ، رأوا
هذه المناكير ولم يغيروها . وقد بطل ذلك المنكر بحمد الله من يوم
دخلت الحجاز في حكم جلالة الملك ابن السعود أدام الله توفيقه لإحياء
السنة وإماتة البدعة ، كما هدم القباب التي كانت في الحجاز وطهر =

أف هذا السكوت دليل على جوازها ؟ هذا لا يقوله من له إلمام بشيء من المعارف .

كذلك سكوتهم على هذه الأشياء الصادرة من القبور بين
فإن قلت : يلزم من هذا أن الأمة قد اجتمعت على ضلالة ،
حيث سكنت عن إنكارها لأعظم جهالة

قلت : حقيقة الاجماع : اتفاق مجتهدي أمة محمد صلى الله
عليه وسلم على أمر بعد عصره ، وفقهاء المذاهب الأربعة يحيلون
الاجتهاد من بعد الأربعة ، وإن كان هذا قولاً باطلاً ، وكلاماً
لا يقوله إلا من كان للحقائق جاهلاً . فعلى زعمهم : لا إجماع أبداً
من بعد الأئمة الأربعة . فلا يرد السؤال ، فإن هذا الابتداع
والفئنة بالقبور لم يكن على عهد أئمة المذاهب الأربعة .

وعلى ما نحققه : فالإجماع وقوعه محال . فإن الأمة المحمدية
قد ملأت الآفاق ، وصات في كل أرض وتحت كل نجم ،
= الأرض منها ، فجراه الله خير الجزاء ووفقه لإبطال كل منكر ،
وإحياء كل معروف ، وإقامة الحكم الصحيح الصالح بالكتاب والسنة .

فعلماؤها المحققون لا ينحسرون ، ولا يتم لأحد معرفة أحوالهم .
فمن ادعى الإجماع بعد انتشار الدين ، وكثرة علماء المسلمين :
فإنها دعوى كاذبة . كما قاله أئمة التحقيق .

ثم لو فرض أنهم علموا بالمنكر وما أنكروه . بل سكتوا
عن إنكاره . لما دل سكوتهم على جوازه . فإنه قد علم من قواعد
الشريعة : أن وظائف الإنكار ثلاثة

أولها : الإنكار باليد ، وذلك بتغيير المنكر وإزالته

ثانيها : الإنكار باللسان مع عدم استطاعة التغيير

ثالثها : الإنكار بالقلب عند عدم استطاعة التغيير باليد
واللسان . فإن انتفى أحدها لم ينتف الآخر

ومثاله : مرور فرد من أفراد علماء الدين بأحد المكاسين ، وهو
يأخذ أموال المظلومين . فهذا الفرد من علماء الدين لا يستطيع
التغيير على هذا الذي يأخذ أموال المساكين باليد ولا باللسان ،
لأنه يكون سخرية لأهل العصيان . فانتفى شرط الإنكار
بالوظيفتين ، ولم يبق إلا الإنكار بالقلب الذي هو أضعف الإيمان .

فيجب على من رأى ذلك العالم ساكتاً عن الإنكار مع مشاهدة ما يأخذه ذلك الجبار: أن يعتقد أنه تعذر عليه الإنكار، باليد واللسان وأنه قد أنكر بقلبه. فإن حسن الظن بالمسلمين أهل الدين واجب والتأويل لهم ما أمكن ضربة لازب؛ فالداخلون إلى الحرم الشريف والمشاهدون لتلك الأبنية الشيطانية^(١) التي فرقت كلمة الدين، وشقت صلوات المسلمين. معذرون عن الإنكار إلا بالقلب، كاللارين على المسكسين وعلى القبوريين^(٢)

ومن هنا يعلم اختلال ما استمر عند أئمة الاستدلال من قولهم في بعض ما يستدلون عليه: إنه وقع ولم ينكر، فكان إجماعاً.

(١) أي مقامات المذاهب الأربعة.

(٢) هذا خطأ مردود على الشيخ غفر الله لنا وله. فإن حكمة الإنكار أن يعرف الناس أن هذا منكر يبعضه الله ولا يكون ذلك بالإنكار القلبي إلا بالبعد عنه وعن أهله ومقاطعتهم، وإعلان الكراهية لهم والبراءة منهم، فأما مجرد السكوت: فهو حجة لأهل المنكر على أن العلماء أقروهم على منكرهم. فدعوى الشيخ واعتذاره عن الدين اختانوا أنفسهم وخانوا أماناتهم دعوى باطلة.

وجه اختلاله : أن قولهم « ولم ينكر » رجم بالغيب ، فانه قد يكون أنكرته قلوب كثيرة تعذر عليها الانكار باليد واللسان وأنت نشاهد في زمانك : أنه كم من أمر يقع لا تنكره بلسانك ولا بيدك ، وأنت منكراه بقلبك ، ويقول الجاهل : إذا رأيك تشاهده : سكت فلان عن الانكار بقوله ، إما لأنما أو متأسيا بسكوته ، فالسكوت لا يستدل به عارف . وكذا يعلم اختلال قولهم في الاستدلال : فعل فلان كذا وسكت الباقون . فكان إجماعا — مختل من جهتين .

الأولى : دعوى أن سكوت الباقين تقرير لفعل فلان ، لما عرفت من عدم دلالة السكوت على التقرير .

الثانية : قولهم « فكان إجماعا » فإن الإجماع اتفاق أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، والساكت لا ينسب إليه وفاق ولا خلاف حتى يعرب عنه لسانه . قال بعض الملوك — وقد أثنى الحاضرون على شخص من عماله وفيهم رجل ساكت — مالك لا تقول كما يقولون ؟ فقال : إن تكلمت خالفهم .

فأكل سكوت رضى . فان هذه منكرات أسسها من يديه
 السيف والسنان ، ودماء العباد وأموالهم تحت لسانه وقلمه ، وأعراضهم
 تحت قوله وكلمه ؛ فكيف يقوى فرد من الأفراد على دفعه عما أراد
 فإن هذه القباب والمشاهد التى صارت أعظم ذريعة إلى الشرك
 والإلحاد ؛ وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه ، غالب -
 بل كل من يعمرها - هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة ،
 إما على قريب لهم أو على من يحسنون الظن فيه ، من فاضل
 أو عالم أو صوفى أو فقير ، أو شيخ أو كبير ، ويزوره الناس الذين
 يعرفونه زيارة الأموات من دون توسل به ولا هتف باسمه ، بل
 يدعون له ويستغفرون ، حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم ،
 فيأتى من بعدهم فيجد قبراً قد شيد عليه البناء ، وسرجت عليه
 الشموع ، وفرش بالفراش الفاخر وأرخيت عليه الستور ، وألقيت
 عليه الأوراد والزهور ، فيعتقد أن ذلك لنفع أو لدفع ضرر ، ويأتيه
 السدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل وأنزل بفلان الضرر ،
 و بفلان النفع ، حتى يغرسوا فى جبلته كل باطل . ولهذا الأمر

ثبت في الأحاديث النبوية : اللعن على من أسرج على القبور
وكتب عليها وبنى عليها ، وأحاديث ذلك واسعة معروفة ، فإن
ذلك في نفسه منهي عنه ، ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة .
فإن قلت : هذا قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد
عمرت عليه قبة عظيمة ، أنفقت فيها الأموال .

قلت : هذا جهل عظيم بحقيقة الحال ، فإن هذه القبة ليس
بناؤها منه صلى الله عليه وسلم ولا من أصحابه ولا من تابعيهم ولا تابع
التابعين ، ولا من علماء أمته وأئمة ملته ؛ بل هذه القبة المعمولة على
قبره صلى الله عليه وسلم من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين ،
وهو قلاوون الصالحى ، المعروف بالملك المنصور في سنة ثمان
وسبعين وستائة ، ذكره في (تحقيق النصرة بتخليص معالم دار
الهجرة) فهذه أمور دولية لا دليمية ، يتبع فيها الآخر الأول .

وهذا آخر ما أردناه مما أوردناه لما عمت البلوى واتبعت الأهواء
وأعرض العلماء عن التفكير الذى يجب عليهم ، ومالوا إلى مامالت
العامة إليه ؛ وصار المفكر معروفا والمعروف منكراً ، ولم تجد من
الأعيان ناهيا عن ذلك ولا زاجراً .

فإن قلت : قد يتفق للأحياء وللأموات اتصال جماعة بهم
يفعلون خوارق من الأفعال ، يتسمون بالمجاذيب ، فاحكم ما يأتون
من تلك الأمور ، فإنها مما جلبت القلوب إلى الاعتقاد بها ؟

قلت : أما المتسمون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة
بأفواههم ، ويقولونها بألسنتهم ، ويخرجونها عن لفظها العربي :
فهم من أجناد إبليس اللعين ، ومن أعظم حُر الكون الذين
ألبستهم الشياطين حلل القلبس والتزيين ، لما إن إطلاق
الجلالة مفرداً عن إخبار عنها بقولهم « الله ، الله » ليس بكلام
ولانوحيد ، وإنما هو تلاعب بهذا اللفظ الشريف بإخراجه عن
لفظه العربي ، ثم إخلاؤه عن معنى من المعاني ، ولو أن رجلاً عظيماً
صالحاً يسمى يزيد : وصار جماعة يقولون : زيد . زيد ، لعد ذلك
استهزاء وإهانة وسخرية ، ولا سيما إذا زاد إلى ذلك تحريف اللفظ
ثم انظر : هل أتى في لفظة من الكتاب والسنة ذكر الجلالة
بانفرادها وتكريرها ؟ إذ الذي فيهما هو طلب الذكر والتوحيد
والتسبيح والتهليل . وهذه أذكركم رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم وأدعيته وأدعية آله وأصحابه خالية عن هذا الشهيق والنهيق
والنعيق، الذي اعتاده من هو عن الله وعن هدى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسمته ودلّه في مكان سحيق، ثم قد يضيفون إلى الجلالة
الشريفة أسماء جماعة من الموتى مثل ابن علوان وأحمد بن الحسين
وعبد القادر، والعيدروس . بل قد انتهى الحال إلى أنهم يفرون
إلى أهل القبور من الظلم والجور : كعلي رومان ، وعلى الأحمر ،
وأشباههما وقد صان الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
وأهل والسكساء وأعيان الصحابة عن إدخالهم في أفواه هؤلاء
الجهلة الضلال . فيجمعون أنواعا من الجهل والشرك والكفر .

فإن قلت : إنه قد يتفق من هؤلاء الذين يلوكون الجلالة ؛
ويضيفون إليها عمل أهل الخساعة والبطالة ، خوارق عادات ،
وأموراً تظن كرامات ، كطعن أنفسهم بالآلات الحادة ، وحملهم
لمثل الحنش والحية والعقرب وأكلهم النار ، ومسهم إياها بالأيدي
وتقبلهم فيها بالأجسام .

قلت : هذه أحوال شيطانية ، وإنك لملبس عليك إن
ظننتها كرامات للأمم أو حسنات للأحياء لما هتف هذا الضال

باسمائهم جعلهم أندادا وشركاء لله تعالى في الخلق والأمر ،
فهؤلاء الموتى أنت تفرض أنهم أولياء الله تعالى ، فهل يرضى
ولى الله أن يجعله المجذوب أو السالك شريكا له تعالى ونذا ؟ إن
زعمت ذلك فقد جئت شيئا إدا ، وصيرت هؤلاء الأموات
مشركين وأخرجتهم - وحاشاهم عن ذلك - عن دائرة الإسلام
والدين ، حيث جعلتهم أندادا لله راضين فرحين ، وزعمت أن
هذه كرامات لهؤلاء المجاذيب الضلال المشركين ، التابعين لسكل
باطل ؛ المنغمسين في بحار الرذائل ، الذين لا يسجدون لله
سجدة ، ولا يذكرون الله وحده . فإن زعمت هذا فقد أثبت
السكرامات للمشركين الكافرين والمجانين ؛ وهدمت بذلك
ضوابط الاسلام وقواعد الدين المبين ، والشرع المتين .

وإذا عرفت بطلان هذين الأمرين علمت أن هذه أحوال
وأفعال طاغوتية ، وأعمال إبليسية ، يفعلها الشياطين لإخوانهم من
هؤلاء الضالين ، معاونة من الفريقين ، وقد ثبت في الأحاديث :
أن الشياطين والجان يتشكلون بأشكال الحية والثعبان ، وهذا أمر
مقطوع بوقوعه ، فهم الثعابين التي يشاهدها الإنسان في أيدي

المجاذيب . وقد يكون ذلك من باب السحر ، وهو أنواع ، وتعلمه ليس بالعسير ، بل بابه الأعظم : هو الكفر بالله ، وإهانة ما عظمه الله من جمل مصحف في كنيف ونحوه . فلا يغتر من يشاهد ما عظم في عينيه من أحوال المجاذيب من الأمور التي يراها خوارق فإن للسحر تأثيراً عظيماً في الأفعال ، وهكذا الذين يقبلون الأعيان بالأسحار وغيرها . وقد ملأ سحرة فرعون الوادي بالشعابين والحيات حتى أوجس في نفسه خيفة موسى عليه السلام ، وقد وصفه الله بأنه سحر عظيم ، والسحر يفعل أعظم من هذا فإنه قد ذكر ابن بطوطة وغيره : أنه شاهد في بلاد الهند قوماً توقد لهم النار العظيمة فيلبسون الثياب الرقيقة ، ويخوضون في تلك النار ، ويخرجون وثيابهم كأنها لم يمسها شيء ، بل ذكر أنه رأى إنساناً عند بعض ملوك الهند أنه بولدين معه ثم قطعهما عضواً عضواً ، ثم رمى بكل عضو إلى جهة فرقا ، حتى لم ير أحد شيئاً من تلك الأعضاء ، ثم صاح وبكى ، فلم يشعر الحاضرون إلا وقد نزل كل عضو على انفراد ، وانضم إلى الآخر ، حتى قام كل واحد منهما على عادته حياً سوياً .^(١)

(١) هؤلاء هم صوفية الهند البوذية الوثنيون ، وهم ملف =

ذكر هذا في رحلته ، وهي رحلة بسيطة . وقد اختصرت . طالعها بمكة عام ست وثلاثين ومائة وألف . وأملأها علينا العلامة مفتي الحنفية في المدينة السيد محمد بن أسعد رحمه الله .

وفي الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني بسنده : أن ساحراً كان

= الصوفية في أي زمن وبكل اسم فإن أصل الصوفية من عند هؤلاء . أدخلها أعداء الإسلام ليهدموا قواعده ، وينقضوا شرائعه ، وأهمها : إخلاص العبادة لله . وأساس دين الصوفية على هذه الشعبدات والمخاريق ، التي لاتزوج إلا على السفهاء والحمقى أمثال ابن بطوطة . وأما العقلاء الذين يعرفون سنة الله وحكمته : فإنهم لا يندعون بهذه المخرفات والشعوذات . ولقد كان ابن بطوطة من أشد الناس نصراً للشرك والوثنية ، ومعاداة للتوحيد وأهله ، حتى لقد حمّله حقه وعداوته للموحدين أن يكذب على شيخ الإسلام ابن تيمية ، ويدعى أنه رآه بعينه نزل درجة عن منبر دمشق وقال : إن الله ينزل مثل نزولي هذا ، ولقد حقق ابن كثير وغيره من علماء التاريخ : أن ابن بطوطة إنما دخل دمشق وشيخ الإسلام محبوس في السجن ، ولم يخرج منه إلا بعد خروج ابن بطوطة من دمشق بمدة طويلة . ومثل هذه الواقعة تدل على قبيحة ما يروى ابن بطوطة في رحلته . وإن أكثرها خيال وأوهام .

عند الوليد بن عقبة ، فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج ، فرآه جندب رضي الله عنه ، فذهب إلى بيته ، فاشتعل على سيفه ، فلما دخل الساحر في البقرة قال جندب (أتأتون السحر وأنتم تبصرون؟) ثم ضرب وسط البقرة ، فقطعها وقطع الساحر معها . فاندعر الناس فخبسه الوليد ، وكتب بذلك إلى عثمان رضي الله عنه ، وكان على السجن رجل نصراني . فلما رأى جندباً يقوم الليل ويصبح صائماً ، قال النصراني : والله إن قوماً هذا شرهم تقوم صدق . فوكل بالسجن رجلاً ودخل الكوفة . فسأل عن أفضل أهلها فقالوا : الأشعث بن قيس ، فاستضافه فرأى أبا محمد - يعني الأشعث - ينام الليل ، ويصبح فيدعو بغداده ، فخرج من عنده وسأل : أي أهل الكوفة أفضل ؟ فقالوا : جرير بن عبد الله ، فوجده ينام الليل ، ثم يصبح فيدعون بغداده . فاستقبل القبلة ، فقال : ربى رب جندب ، ودينى دين جندب ، وأسلم . وأخرجها البيهقي في السنن الكبرى بمغايرة في القصة . فذكر بسنده إلى الأسود : أن الوليد بن عقبة كان بالعراق يلعب بين يديه ساحر ،

فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به ، فيقوم صارخا ، فيرد إليه رأسه . فقال الناس : سبحان الله ! يحى الموتى ، ورآه رجل من صالحى المهاجرين ، فلما كان من من الغد اشتمل على سيفه ، فذهب يلعب لعبه ذلك ، فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه . وقال : إن كان صادقا فليحى نفسه ، فأمر به الوليد ديناراً صاحب السجن . فسجنه . انتهى .

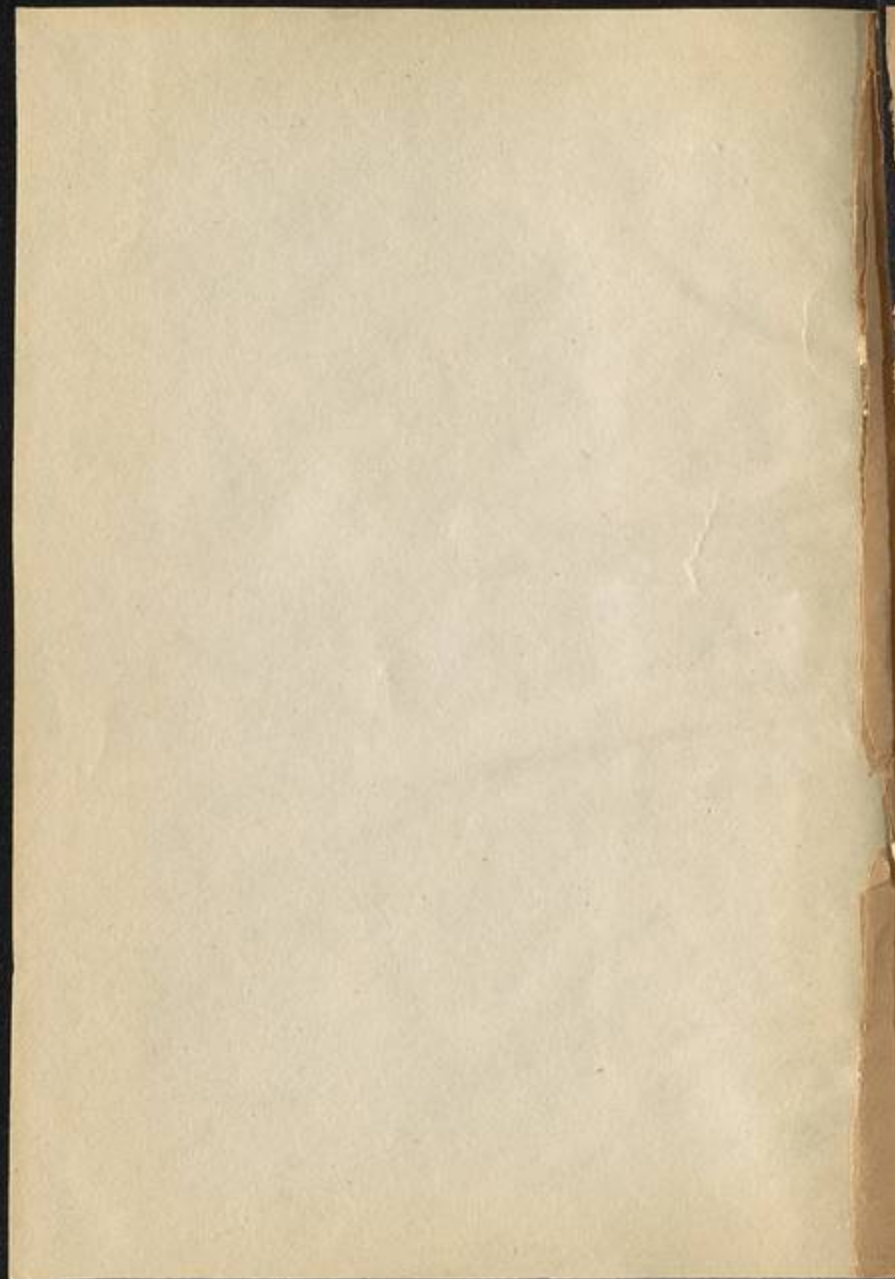
بل أعجب من هذا : ما أخرجه الحافظ البيهقى بإسناده فى قصة طويلة ، وفيها ، أن امرأة تعلمت السحر من الملوك ببابل هاروت وماروت ، وأنها أخذت قمحا ، فقالت له - بعد أن ألقته فى الأرض - : أطلع ، فطلع ، فقالت : احقل ، فأحقل ، ثم تركته . ثم قالت أيبس فيبس ، ثم قالت له : اطحن فأطحن ، ثم قالت له : اخبز فأخبز . وكانت لا تريد شيئا إلا كان . والأحوال الشيطانية لا تنحصر . وكفى بما يأتى به الدجال . والميعاد اتباع الكتاب والسنة ومخالفتهم

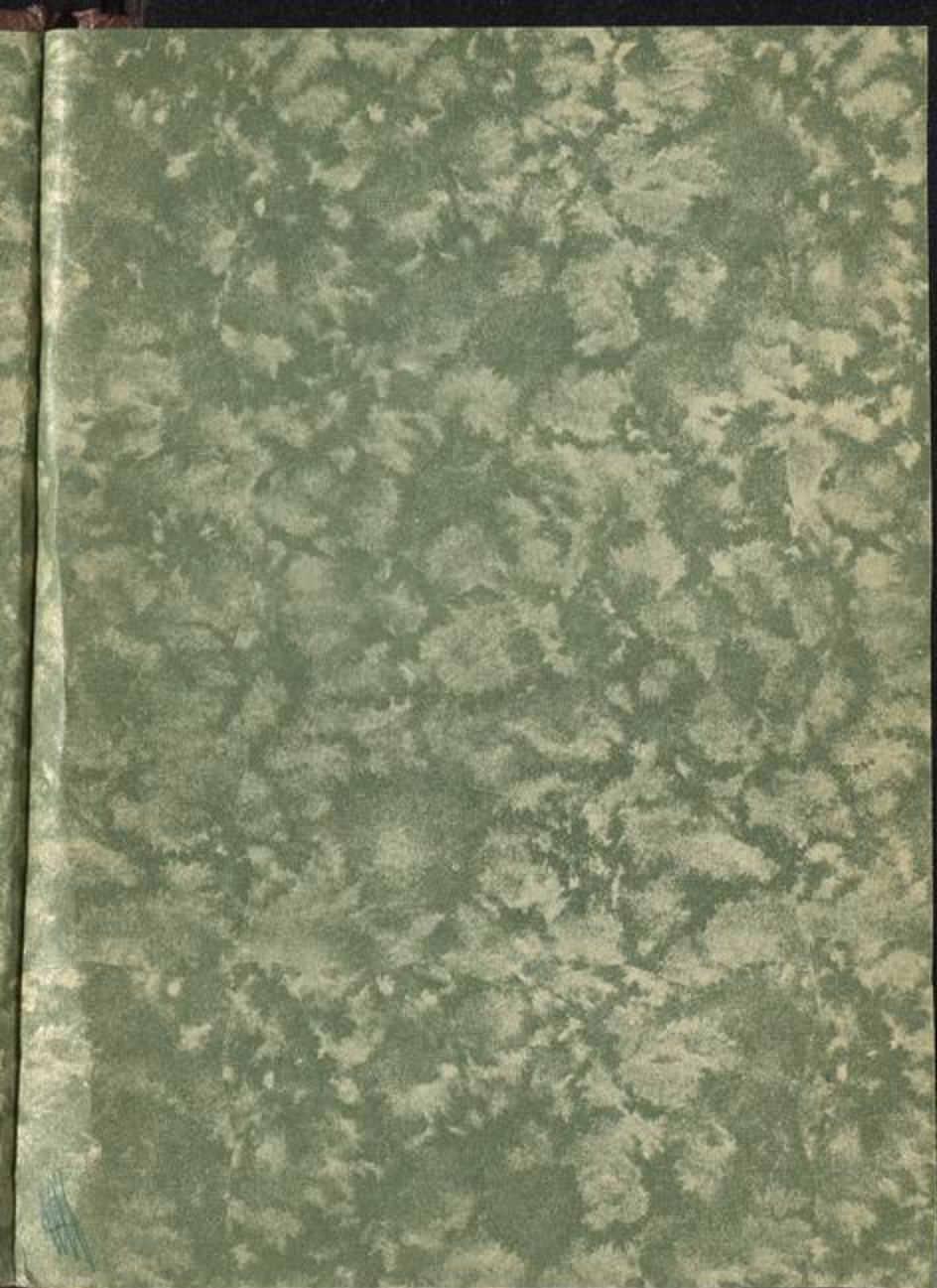
انتهى ما أوردناه والحمد لله رب العالمين أولاً وآخرأ
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مطبعة السنة المحمدية

• شارع غيط النوبى - القاهرة

ت ٧٩٠١٧





NOV 19 1978

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU55324673

BP169 .A45

Tathir al-~~hi~~qad an

BP

169

.A45